

# زواج الأب أو الأم يدخل الأبناء في دوامة الخوف من المستقبل

## المجتمعات الذكورية تهمل لزواج الأب وتعيب ذلك على الأم الأرملة أو المطلقة



يخاف أبناء المطلقين والمطلقات وأبناء الأرامل من دخول الأب أو الأم في علاقة جديدة مع شريك ليس والدهم أو والدتهم، ويخشون صورة زوج الأم وزوجة الأب التي لم تقترن بتجارب جيدة مع أطفال الشريك على مرّ الأجيال، لكن يضطر الأب أو الأم للذان فقدوا شريك الحياة للارتباط مجددا وقد يختاران ذلك كحل يبدو لهما الأفضل لتوازن حياته الأسرية. في المقابل يهمل الأهل غالبا بداية حياة أسرية جديدة لابنهم أو ابنتهم بعد الطلاق أو وفاة الشريك ويبدو هذا التهميل جليا عندما يتعلق الأمر بالرجل حيث يحته محيطه الأسري (عدا الأبناء) والاجتماعي على تجديد حياته ويترددون في ذلك حين يتعلق الأمر بالمطلقة أو الأرملة.

تونس - يختلف زواج الأرملة أو المطلقة أو الرجل المطلق أو الذي توفيت زوجته عن زواج العازب أو العزباء، وتلعب التجربة السابقة خاصة التي أثمرت أبناء دورا هاما في هذا الاختلاف حيث تبدو الفرحة محتشمة وحفل الزفاف متواضعا في أغلب الأحيان.

وتتنوع ردود الأفعال حيال تجربة الزواج الجديدة التي تأتي بعد انتهاء علاقة سبقها سواء بالفشل والانفصال أو بوفاة الشريك، ويرى المحبون بهذا الارتباط أنه خروج من تجربة قاتمة في الحياة الأسرية والاجتماعية وبداية لمرحلة جديدة عليها تحمل الأفضل للمقبل عليها.

وعموما يرحب الأهل بخروج ابنهم أو ابنتهم من وضع المنفصل أو الأرملة خصوصا إذا كان لديه أبناء ويرون في ذلك أملا لتجديد حياته والخروج من الوضع النفسي السيء بعد انتهاء علاقته الزوجية ويأملون في أن يكون الشريك الجديد مؤهلا لتقبل وضعه الخاص ولمساعدته وتقاسم المسؤوليات معه.

ويعترض بعض أفراد الأسرة أحيانا على الزواج الثاني للمطلق أو الأرملة للعديد من الأسباب منها ما يتعلق به كشخص ومنها ما يتعلق بتأثره بتجربته الأولى، ومنها فقط لأن المعنى أرملة.

ويظن الأبناء الطرف الأكثر رفضا في غالبية الحالات لارتباط والدهم أو والدتهم حيث يسيطر الخوف عليهم من زواج الأم أو زوجة الأب ولا يتوقعون الأفضل منه أو منها بل يرجحون السيناريوهات السيئة الراسخة في الوعي العام ومفادها أن علاقة زوج الأم أو زوجة الأب بأبناء الشريك غالبا ما تملئ نحو الخلافات وسوء المعاملة والرغبة في السيطرة على الشريك لإبعاده عن أبنائه حتى من منطلق الغيرة. ويرى

المختص في علم النفس ومدرّب التنمية البشرية عبد الحميد بن حمادي أن الطلاق يختلف تماما

عن وفاة الزوج أو الزوجة وهو "من الأحداث



المؤلمة التي يمكن أن تصاب بها العائلة فشدة تعلق الأبناء بابائهم تجعلهم لاشعوريا يرفضون أي بديل لهم لأنه قتل صوري لرمزية أحدهما، عكس الوفاة التي تكون أمرا خارجا عن إرادة الأرملة أو الأرملة وحدها فعليا يقلب حياة الأسرة كلها رأسا على عقب.

ويضيف بن حمادي في تصريح لـ "العرب" أن "الأطفال يرون أن زواج الأم أو زوجة الأب شخص غريب سيفتق مكانهم عند أحد الأباء وهذا يثير غيرتهم خاصة إذا كانوا في سن مبكرة ناهيك عن التهديد الذي يحسّ به الأبناء على اعتبار وجود شخص غريب يجعلهم خارج فضاء الأب أو الأم."

هذا بالإضافة إلى "التصورات المستقبلية التي يمكن أن ينسجها الطفل حول هذا النسق العائلي الجديد وتكون الصور في معظمها سلبية".

ويشير الأخصائي النفسي بن حمادي إلى أن المجتمعات العربية في معظمها "ذكورية أي ترى أن من حق الرجل أن يتزوج سواء عند طلاقه أو بعد وفاة زوجته بل إنه قد يدفع دعوا لذلك، أما إذا تعلق الأمر بالمرأة فنظرا لاعتبارها الحايوة والرعاية لأبنائها فعادة لا يقبل زواجها بشكل عادي مثلها مثل الرجل".

ويؤكد مدرّب التنمية البشرية أن عدم القبول يكون خاصة من جانب الأبناء لأن "صورة الرجل الغريب الذي سيسكن معهم ومع والدتهم وسيحتل حيزا من وجدانها أمر من شأنه أن يثير غيرتهم وغضبهم.

إضافة إلى حضور صورة الأب مع ما أحدثه فقدانه من ألم ما يجعل قبول أحد مكانه أمرا ليس بالسهل".

وبالرغم من أن العديد من

التجارب مع زوج الأم أو زوجة الأب نجحت، إلا أنها تظل قليلة فالفكرة السائدة والصورة الشائعة لم تخلق من فراغ وهي تؤسس ضرورة لعلاقة تتسم بالنفور وخوف الأبناء من الفرد الجديد في العائلة والذي يوضع في مقام المنازع والدخيل منذ البداية، وهو ما يجعل مهمة زوجة الأب وزوج الأم جد صعبة.



الطبيب الطوبلي  
الوصم الاجتماعي لا يقتصر على المطلقات بل يشمل الأرامل

كما أن العديد من الحكايات والشكاوى تأتي على لسان الأبناء من زوج الأم أو زوجة الأب ونستمع إليها في مجتمعاتنا العربية بشكل يومي، ويكون مفادها أن الشخص الجديد لا يمكن أن يعوض الأم أو الأب خاصة عاطفيا وهو ما يجعل من ارتباط المطلق والأرملة قرارا صعبا وديقا ويحتاج إلى التفكير والدراسة والحوار مع الأبناء والتحضير النفسي قبل الدخول في معترك جديد مع الشريك والأبناء.

ومن جانبه يرى الدكتور المختص في علم الاجتماع الطبيب الطوبلي أنه لطالما كانت نظرة المجتمع الشرقية الذكورية إلى المرأة المطلقة نظرة وصم وتبخيس.

وهو ما كان يدفع بالمرأة في وضعيات كثيرة إلى تحمّل العنف الرمزي واللفظي وفي أحيان أخرى العنف المادي والجسدي لكي لا تتحول إلى "مطلقة" بكل ما يحتويه اللفظ من أبعاد سلبية كان المجتمع الشرقي يصم بها المرأة والتي يعتبر فيها المجتمع المرأة هي المتهم الأول والمسؤول الأساسي عن الفشل.

ويتابع في حديث لـ "العرب" أن "هذا الوصم إلا يقتصر على المطلقات بل هو يشمل الأرامل والعانسات وكل امرأة لا تستند إلى نكر، أو كما يقال في المخيال الشعبي الشرقي ظل

## «ولد الهجالة».. عندما يُعيّر الابن بموت والده

سماح بن عبادة  
صحافية تونسية

لا يوجد ما يثير الاستياء أو اللوم على زوجة توفي زوجها وتركها أرملة وربما لديها ابن أو أكثر تربيته، كما لا يوجد أي ذنب يمكن اعتبار أن الطفل يتيم الأب قد اقترفه لمجرد أن والده توفي. هذا الطبيعي، لكن عندما نبعت أبناء الأرامل بالهجة العامية التونسية بـ "أولاد الهجالة" بما في الكلمة من معان سيئة لا تتم عن الاحترام أو حتى اللاتصنيف فإن المسألة تخرج عن الجانب الطبيعي. ولد الهجالة نعت غير بريء يقوم على التمييز ضد المنعوت. صفة تضمّر التحقير الذي لا يقف عند أبناء الأرامل فحسب بل يصل لإهانة أمهاتهم وكان الكل يعيّر الابن بعد وفاة والده بامه. وبحسب لغويين عبارة "هجالة" صفة مستخدمة في اللهجات العامية بدول المغرب العربي ولديها أصول أمازيغية وتطلق في بعض هذه الدول على المطلقة والأرملة لكنها في تونس تطلق فقط على الأرملة بأبناء أو من دون أبناء. الأرملة لا تحسن تربية أبنائها في مضمير الوعي العام، أو الأرملة امرأة يسهل الوصول إليها والزواج بها على اعتبار أنها لا تشترط عند طلب الزواج منها مثل الفتاة البكر أو مثل الفتيات اللاتي لم يسبق لهن الزواج سواء كان لها أبناء أم لا. وفي حال ترفض الأرملة خاصة التي لديها أبناء الزواج أو الخروج من بيت الزوج فإنه عليها أن تلعب دوري الأم والأب مع أبنائها وقد تضطر للعمل أو لتعويض زوجها إذا كان صاحب محل أو حرفة أو غيرها وحينها يمكن أن تشبه الرجل كونها تتحمل العديد من المسؤوليات التي فرضها عليها غياب الزوج وقد تهمل نفسها ومظهرها وخصوصا العناية بجمالها وأثوثها. الأرملة التي يكون لديها أبناء ليست لديها خيارات كثيرة في حياتها الأسرية والاجتماعية؛ فهي إما ترجع إلى بيت عائلتها بعد وفاة الزوج وتعيش مع أفراد عائلتها تحت سقف بيت العائلة وتحت سقف طلباتهم وسلطتهم وانتظاراتهم منها ومن أبنائها، أو تختار الاستقلالية وتعيش نفسها ولأبنائها وتقرر وحدها ما يناسبها ويناسبهم.

لعل السلبية التي تطغى على لفظ "هجالة" تجد بعضا من وجوها في مصير المرأة بعد وفاة الزوج، ولكن ما يلحقه المجتمع التونسي بوصف أبنائها بأولاد الهجالة ينبع من تصور راسخ، كما العديد من الأفكار والأحكام المسبقة والتي أغلبها تكون مسقطه من تجارب وصور سلبية عالقة في الأذهان، والذي يتمثل في أن الأرامل لا يحسن التربية، تصور يرتكز بدوره على فرضيات مثل أنهم وحيدات وبلا سند وبلا رجل يحكمهن أو يوجههن وبالتالي يخطئن في التعامل مع محيطهن الاجتماعي ومع الأبناء، أو فرضية أنهم يسرفن في تدليل الأبناء ويبالغن في الحنو عليهم من دون وعي لكونهن يسعين لتعويضهم عن عواطف الأب فيكونون رجالا وبناتنا غير مرتزني الشخصية عندما يكبرون.

الثابت أن الكثير من العيوب تلتصق في تربية الأرملة لأولادها تحط من قدراتها وتحط من قيمتها كأمارة ولا ينفي هذا التقدم وجود صعوبات أسماء الأرامل والمطلقات وأبنائهن في الاندماج في المجتمع حيث لا تزال النظرة الدونية تعترضهم في حياتهم اليومية وكذلك التمييز ضدهم الذي يظهر ولو بشكل نسبي بحسب البيئات الاجتماعية وبحسب المناطق (الريف أو المدينة) وبحسب الثقافة أيضا.

كما لا ينفي هذا التقدم الفكرة الراسخة عن أن زوج الأم أو زوجة الأب شخصية دخيلة تخيف بوجودها الأبناء وتخلق حواجز بينهم وبين تقبل زواج الأب أو الأم. ويفضل العديد من المطلقين والأرامل عدم الزواج مرة أخرى وتكريس حياتهم لأبنائهم خشية الفشل في التجربة وخوفا على أبنائهم.

يمكن أن تشق طريقها من دون زوج معا، وتبخس أئونها كما تحقر مما تبذله من جهود وما تقدمه لأسرتها. هل اليتّم عار؟ وهل الترمل عيب؟ كيف للمجتمع بتبجح بثقافته وحضارته أن يحافظ ويحفظ مثل هذه الصفة على مرّ الأجيال؟ هل يفكر من يصف بعبارة "ولد الهجالة" ابن الأرملة بأنه في حقيقة الأمر يعيب فيه وعليه اليتّم، وأنه يحط من قيمة امرأة توفي زوجها وترك لها أبنائها تسهر على تربيتهم؟ ثم من أثبت وأكد أن تربية الأرامل لا تصلح وغير مرتزنة؟ تحقّق الأمهات الأرامل الكثير من النجاحات في تربية أبنائهن بل لعل الوضع الأسري الاستثنائي وغياب الزوج والأب يجعلها أو أولادها أكثر تعلقا ببعضهم البعض وأكثر عزيمة على النجاح في كسب موقعهم في المجتمع سعيا لتجاوز العراقيل الاجتماعية وتلك النظرات الدونية والتي كرسها التمييز ضدّهم، ما يجعلهم في أغلب الحالات يستهدفون إنيات أنهم لا يحتاجون للشقة مثلما لا يرغبون في أن يتردد على الألسن بأبنائهم فاشلون وتربيتهم سيئة لأنهم تربية هجالة.

يمكن أن تشق طريقها من دون زوج وتتحمّل مسؤوليات وأدوار الوالدين معا، وتبخس أئونها كما تحقر مما تبذله من جهود وما تقدمه لأسرتها.

هل اليتّم عار؟ وهل الترمل عيب؟ كيف للمجتمع بتبجح بثقافته وحضارته أن يحافظ ويحفظ مثل هذه الصفة على مرّ الأجيال؟ هل يفكر من يصف بعبارة "ولد الهجالة" ابن الأرملة بأنه في حقيقة الأمر يعيب فيه وعليه اليتّم، وأنه يحط من قيمة امرأة توفي زوجها وترك لها أبنائها تسهر على تربيتهم؟ ثم من أثبت وأكد أن تربية الأرامل لا تصلح وغير مرتزنة؟ تحقّق الأمهات الأرامل الكثير من النجاحات في تربية أبنائهن بل لعل الوضع الأسري الاستثنائي وغياب الزوج والأب يجعلها أو أولادها أكثر تعلقا ببعضهم البعض وأكثر عزيمة على النجاح في كسب موقعهم في المجتمع سعيا لتجاوز العراقيل الاجتماعية وتلك النظرات الدونية والتي كرسها التمييز ضدّهم، ما يجعلهم في أغلب الحالات يستهدفون إنيات أنهم لا يحتاجون للشقة مثلما لا يرغبون في أن يتردد على الألسن بأبنائهم فاشلون وتربيتهم سيئة لأنهم تربية هجالة.

ولد الهجالة نعت يقوم على التمييز ضد المنعوت، صفة تضمّر التحقير لأبناء الأرامل وإهانة أمهاتهم وكأننا نعيّر الابن بوفاة والده

اليوم ورغم تغير العديد من المفاهيم التي تتعلق بالمرأة في المجتمع التونسي والتقدم نحو المزيد من تقدير المرأة المستقلة عن الرجل في كل المجالات لا سيما منها الأسري والاجتماعي، مازال ابن الأرملة يعيّر بولد الهجالة أو هذه تربية هجالة، كلما أتاحت الفرصة لذلك وفي المشاجرات وعند ارتكابه لخطأ بسيط.

وفي المقابل باتت الأرملة أكثر قدرة على الاستقلال بحياتها وبإسرتها بعد أن تقدمت التونسيات أشواطا في مجال حقوق التعليم والعمل ولدينا في محيطنا الكثير من الأرامل اللاتي يضرب بهن المثل في تحقيق الأفضل لأنفسهن ولأبنائهن واللاتي يفتخرن بتجاربهن كمهات منابرات كتبن بقوة الأمومة قصص التميز لأبنائهن واللاتي يروي أبنائهن مسيرات نجاحهم معا باعتراف ودون شعور بالنقص أو وضع اعتبار لبعض ما يسلطه عليهم المجتمع من صفات وأحكام.

علاقة أبناء الأرامل بأمهاتهم استثنائية، وتعلقهم الشديد بهن يجعل علاقاتهم بالنساء استثنائية بدورها ونظرتهم للمرأة مختلفة، وهو ما لاحظته في كثيرين منهم. وكان تجربتهم مع أم أرملة تكسبهم مناعة ضد كل ما يمس الأم بسوء ومن خلالها المرأة عموما، قداسة الأم تطغى عند غالبيتهم وتكسبهم مناعة فريدة من نوعها ضد كل ما يحبط طموحات أمهاتهم فيهم. إنهم استثنائيون.



حب استثنائي